بعض المعربات

قريش

أني اذهب الى ان في اعلام العرب اسماء دخيلة. فالعبرية فيها واضحة الوجود كابرهيم واسحق ويعقوب ويوسف وجبريل وميكائيل وعليّ والحسن والحسين والاخيران منقولان من العبرية نقلاً معنوياً . واصلها شبر وشبير (راجع التاج في شبر)

واذا كان في اعلام الرجال اعلام دخيلة فلا يبعد من ان يكون في اسماء القبائل اعلام راجعة الى هذا الاصل واذا كان فيها اعلام عبرية فلا مانع من ان يكون فيها اعلام يونانية وفارسية وغيرها من لغات الاقوام الذين جاوروا العرب او خالطوهم. فالياس وبولس وادريس يونانية وغيرها من غير ذلك

اما قريش فان علماء الاشتقاق ذهبوا في اصلها مذاهب . فالفراء يذهب الى انها من القرش مصدر قرش الشيء اي قطعهُ وقرضهُ وجمعهُ من ههنا وههنا وضم بعضهُ الى بعض . وابوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر فكل من كان من ولد النضر فهو قرشي دون ولد كنانة ومن فوقهُ. كذا في الصحاح. وقال صاحب التاج : وعند ائمة النسب : كل من لم يلدهُ فهر فليس بقرشي . قالهُ ابن الكلبي وهو المرجوع اليهِ في هذا الشأن. فسميت اذاً قريش بهذا الاسم لتجمع المنتسبين اليها في الحرم من حوالي مكة بعد تفرقهم في البلاد حين غلب عليها قصي ابن كلاب . ويقال : تقرش القوم : اذا اجتمعوا وبهِ سمي قصيّ مجمّعاً

او سمي القرشيون بذلك لانهم كانوا يتقرشون البياعات فيشترونها او لان النضر ابن كنانة اجتمع في ثوبهِ يوماً فقالوا : تقرش ، فقلب عليهِ الثوب ، او لانهُ جاء الى قومهِ يوماً فقالوا : كأنهُ جمل قريش اي شديد فلقب بهِ ، او لان قصيًّا كان يقال لهُ القرشي وهو الذي سماهم بهذا الاسم . قالهُ المبرد ، ونقلهُ السهيلي في سبب القرآن ، او لانهم كانوا يفتشون الحاج (جمع حاجة) فيسدون خلتها فمن كان محتاجاً اغنوهُ ، ومن كان عارياً كسوهُ ، ومن كان معدماً واسوهُ ، ومن كان طريداً آووهُ ، ومن كان خائفاً حموهُ ، ومن كان ضالاً هدوهُ . وهذا قول معروف بن خربوذ

او سميت قريش بصغر القرش وهي دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها ، وقيل:

انها سيدة الدواب اذا دنت وقفت الدواب واذا مشت مشت وكذلك قريش سادات الناس جاهلية واسلاماً. وهذا القول نقلهُ الزبير بن بكّار بسندهِ عن ابن عباس ... او سميت بقريش بن مخلد بن غالب بن فهر وكان صاحب عيرهم فكانوا يقولون: قدمت عير قريش وخرجت عير قريش فلقبوا بذلك

وقال السهيلي عند ذكر بدر « هو ابو بدر وهو ابن قريش بن الحارث بن مخلد ابن النضر وكان قريش ابوهُ دليلاً بين فهر بن مالك في الجاهلية فكانت عيرهم اذا وردت بدراً يقال: قد جاءت عير قريش، يضيفونها الى الرجل حتى مات وبقي الاسم ». فهذهِ ثمانية اوجه ذكرها في سبب تلقيب النضر قريشاً

وقد ذكر غيرها آخرون فاوصلوا الاقوال الى عشرين وكلها على هذا الطرز (راجع التاج في مادة قرش) لا تتعدّى حدّ التخرّص والوهم

وانا ازيد على هذهِ الآراء قولاً آخر وهو: اذا كانت قريش سميت على رأي بعضهم القرش وهي دابة بحرية والكلمة يونانية من Carcharias فلا مانع من القول بانها يونانية، الاّ انها من لفظة أخرى قريبة من الحرف العربي وهو Choregos ومعناها رئيس المُغنّين او كل رئيس مهما كان ولا سيما رئيس الوفادة او الرفادة وهو الدليل ايضاً وكل ذلك عرف في قُصَيّ او اولاده اذ يذكر العرب ان الرفادة والسقاية كانتا لبني هاشم، والسدانة واللواء لبني عبد الدار. فلما سمع غير العرب باسمهم وكان لسانهم يومئذٍ اليوناني، سموهم باسم يوافقهم كل الوفاق

على ان اللغوي قد يعترض عليّ بان العارف اليوناني لم ينقل الى العربية بشين. قلنا: ان اللغويين الكبار صرّحوا بان العرب كثيراً ما تجعل الجيم شيناً وبالعكس فقد عربوا كوجك الفارسية بقولهم قوش هذا في الدخيل واما في اللفظ العربي الصميم فقد ورد ايضاً مثل رجل مجليق ومشليق، مُدج ومُدمش، شايبي وجايبي، ارتمش وارتمج، رجل فجفاج وفشفاش، محج الشيء ومحشهُ اي قشرهُ. الى غيرها وهو كثير في لسانهم

بقي عليّ ان أعلم سبب منع الغير قبول هذا الفكر وهو يحقق جميع مدعيات السلف من غير ان يذهب القائل الى مذاهب لا يوافق عليها العقل، ولا يرضى بها النقل الصحيح. فعلينا الاّ الاخذ برصين الرأي ومحكمهِ والقاء ما يخالفهُ أو يشينهُ. ولا سيما لان بين قريش والكلمة اليونانية مطابقة غريبة مبنى ومعنى لا تكاد تجدها

في الفاظ معربة اخرى الاّ قليلاً

العرش والاركون

كثيراً ما يتفق للسلف انهم يعربون الكلمة الواحدة الدخيلة على وجهين او على مناح عديدة ، وذلك يتفق او يقع اذا كان المعرب الثاني يجهل ما عربهُ الاول ، او ان الكلمة عرّبت بوجه عند قوم او قبيلة ، وعربت بوجهٍ ثانٍ عند قبيلة اخرى. فالعرش من القوم بمعنى رئيسهم المدبر لامرهم معرب من اليونانية archôn وكذلك الاركون التي هي بمعنى الدهقان العظيم اي رئيس القرية. وقد ذهب لغويونا في كلتا اللفظتين الى انهما من اصل عربي

فالاركون عندهم افعول من الركون اي الكون الى الشيء والميل اليه لان اهلها (اهل القرية) يركنون اليهِ اي يسكنون ويميلون. والعرش مأخوذ من عرش البيت وهو البيت الذي يستظل بهِ. اما اليونان فيقولون ان اركون مشتقة من فعل archô ومعناهُ : مشى في اول القوم ، وتقدم الناس ، وسبق الاقران وسمي في اول الماشين ليدلهم على الطريق ، وسار في مقدمة القفل ، الى ما ضاهى هذا المعنى

ومثل archôn الفاظ اخرى تقاربها لفظاً ومعنى منها archos و archégos و archégetés الى غيرها وهي كثيرة عندهم وكلها تكاد ترجع في معناها الى مؤدى واحد

الخليفة

ما كان يخطر ببالي قط ان الخليفة بمعناها القديم يونانية الاصل لولم اقرأ في كتاب الاوائل لابي منذر هشام الكلبي [1] : « كان الخليفة في ابنء الدهر يتولى تدبير الحج والنسيء في الحج ويدبر حركة الرقص في ايام افراحهم ومحافل اعيادهم ، ثم نقل الحرف الى من بيدهِ السلطة العليا او يحاول ان تكون لهُ السلطة العظمى »

فاذا قرأتُ هذا الكلام الاّ وقلت في نفسي ان اللفظة يونانية الوضع مبنى ومعنى . فهي عندهم Coryphaios فأبدل العرب الراء لاماً وهي لغة فاشية منذ القدم عند الناطقين بالضاد [2] فصارت خليفة. ومما يخفف غضب الذين يُنكرون

(١) وقد سرق مني في سنة ١٩١٧ في ٦ آذار وكان قد خط في القرن التاسع للهجرة

(٢) راجع المزهر طبعة بولاق الاولى ١ : ٥٠ و٣٦٦ و٣٧٠ واللسان في عنء والتاج في ليس وغر وقلد وزدد . وعندي على ذلك اكثر من مائة شاهد

قولي هذا ان اللغويين استغربوا في هذا اللفظ (لفظ الخليفة) أمرين : الاول ورود فعيلة بالهاء للذكر عاقل ولهذا اختلفوا في تأويل هـذه الهاء فمن قائل انها للنقل ومن ذاهب الى انها للمبالغة ،ومن مصرّح بانها تدل على كونها صفة لموصوف محذوف تقديرهُ نفس خليفة (راجع التاج في خلف).. والامر الثاني جمعهُ على خلائف ، وانما يجمع هذا الجمع فعيلة على فعائل اذا كانت للمؤنث لا للمذكر مثل كريمة وكرائم وحقيقة وحقائق وولية وولائم . على ان بعضهم خيّروا جمعهُ على خلفاء من اجل ان فعلاء لا يقع الاّ على مذكر، وهو لا يكون الا جمعاً لفعيل ككريم وكرماء وشريف وشرفاء واميرٍ وامراء ، او جمعاً لفاعل مثل عالم وعلماء وجاهل وجهلاء وشاعر وشعراء . وقد ورد قليلاً لغير هذين الوزنين مثل سمحاء وجبناء وشجعاء جمع سمح وجبان وشجاع . واعتبروا الهاء في الخليفة زائدة لا تؤثر في صيغة الجمع

واول من عُرف بالخليفة عند العرب هو داود النبيّ ، فقد قيل ضمنهُ في سورة ص « يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » . وكلٌّ يدري ان هذا النبي عرف بانهُ رقص امام تابوت العهد ، وانهُ همّ بان يجعل ملكهُ متسع الاكناف ، فصدق عليهِ اسم الخليفة بالمعنى الذي كان معروفاً عند قدماء العرب واظن ان ابن الكلبي قال ما قال بعد ان نظر الى نصّ الآية المذكورة وما كان يعرفهُ عن داود . ثم انتقل معنى الاسم شيئاً فشيئاً ، لكن لم يخرج منهُ المعنى بالمهم فيهِ وهو ذو السلطة العظمى في الدنيويات أو في الروحانيات كما كان في اصل وضعهِ في اليونانية

بقي علينا ان نثبت هنا معناهُ عند هؤلاء الاقوام الاعاجم اي اليونانيين وهذا من اهون الهينات

افتح مثلاً اول معجم يوناني يقع بيدك تر Coryphaios مشتقة من Coryphée وهذه معناها اعلى الراس وقمة الجبل وذروة المثلث وفي المجاز أقصى الشيء ومتلاهُ والسلطة القصوى أو العظمى . واذا تصفحت كتبهم التاريخية لتقف على ما كان يتولاهُ الحريفة (= الخليفة) من الشؤون تجد أنها تقول : اسم الرئيس الذي يتولى ادارة المراقص والاغاني في المواسم الدينية وهو ايضاً اسم رئيس المغنين في الماسي (التراجيديات) والاضاحيك (الكوميديات)

قلنا : وهذا الاسم معروف اليوم عند الفرنسيين بصورة Coryphée ويريدون

به من يتولى رئاسة المغنين والراقصين في الروايات المطربة (اي الاوبرا)

وهل من عجب ان ترى سلفنا اخذ كلة الخليفة لرئيس السلطة القصوى وكان في الاصل يقود الرقص والغناء في الايام المشهودة من ايام الحج، وقد تلقى السلف المذكور كلة (الحج) نفسها عن اليونانيين الوثنيين؟ ومعنى الحج عندهم التقديس وتنزيه النفس عن المنكرات بان يذهب المرء الى موطن مقدّس ويعتزل فيه او يعتكف فيه فيتمم فيه بعض الشعائر الدينية اعلاناً لمن يراهُ بانهُ يقلع بعد هذا عن ركوب مطايا الخطايا ويتوخى القربات ومكارم الاخلاق

ولم يأخذ عرب الجاهلية لفظة الحج نفسها بل اخذوا عنهم انواع قضائهِ من إحرام وطواف وسعي وحلق. وكان لجاهلية اليونان احرامٌ وطواف ورأس وحلق فابدل العرب الرقص بالسعي لانهُ أقرب الى اخلاقهم الرصينة ودون الرقص إنهاكاً للقوى واجلب للصحة الى ابدانهم من الرقص في البلاد الحارّة

ولما كانت كلة (خليفة) قريبة من مادة (خلف) العربية وفيها معنى قيامُ الواحد قيام من تقدمهُ في العمر أو السلطة او المنصب او المرتبة هان على مُعرّبي اللفظة ادعاؤهم بعربيتها، كما ادعى قوم في هذه الازمان ان الافندي عربية وانها من الفند (راجع شرح الطرة للآلوسي ص ١٠٦)

واول من عرف بالخليفة عند المسلمين أبو بكر، وكان هو ينكر هذا اللقب لنفسهِ فقد ورد في حديث ابي بكر ما هذا نصهُ: «جاءهُ اعرابي، فقال لهُ: انت خليفة رسول الله (صلعم)، فقال: لا. قال: فما انت؟ قال: انا الخالفة بعدهُ». انتهى والخالفة: هو الذي لا غناء عندهُ ولا خير فيهِ، وكذلك الخالف. وقيل: هو الكثير الخلاف، وانما قال ذلك تواضعاً وهضماً من نفسهِ حين قال لهُ الاعرابي: انت خليفة رسول الله. (اه عن النهاية ببعض تصرف) ولهُ معنى آخر وهو اسم الفاعل من خلف وهو الذي يخلف الآخر

وعندي انهُ لم يرد ان يسمى خليفة رسول الله بل خالف رسول الله، لما كان يومئذٍ من المعنى المتصل بتلك اللفظة والعالق بهِ من عصر الجاهلية، فاحب ابو بكر وهو العربي الصميم ان ينعت بنعتٍ عربي الوضع والمعنى لا صلة لهُ بالمعاني التي عرفت لهُ في الجاهلية

واول من تلقب «بخليفة الله» على الارض المعتصم بالله من الخلفاء العباسيين.

والخليفة أيضاً وخليفة القائد لقب آخر وتردد بمعنى قائد خمسين جندياً . قال الطبري في كلامه على حوادث سنة ٢٥٦ . . . ان يكون على كل تسعة منهم (اي من الجنود) عريف وعلى كل خمسين جندياً ، خليفة ، وعلى كل مائة قائد . . . اه

وقد جاءت لفظة الخليفة في العصور الاخيرة بمعانٍ اخرى تعرّض دوزي لذكرها في مادة خلف فليراجعها من يشاء

ومن الغريب ان كتب متون اللغة والمعاجم كدائرة المعارف البستاني ودائرة معارف وجدي وغيرها لم تتعرض لشرح واف لهذا البحث مع ما فيه من جلالة الموضوع وكذلك اهمل هذه المعاني مؤلفو الافرنج من مستشرقين ومؤرخين وهو امر لا افهم اهماله

التقن والتقانة والاتقان

تقول العرب : رجل تقن اي حاذق ، او التقن : الرجل الحاذق والجمع أتقان . لكنهم لم يذكروا نوع هذا الحذق . فاذا علمنا انها معربة technicos عرفنا ان معناه الحاذق في الفن او الصناعة ، او الحاذق بموجب اصول الفن والصناعة اي artiste

واما التقانة التي قال عنها صاحب محيط المحيط انها اسم من اتقن فلم تنقل عن فصيح ، والرجل نقلها عن احكام باب الاعراب لجرماتوس فرحات ، وهذا عن لسان العوام وقد وردت مدوّنة في كلامهم منذ المائة الحادية عشرة للميلاد ، فراجعها في كتاب الاخبار المجموعة الذي وقف على طبيعة (الدون اميليوا لافونته اي القنطرة) المطبوع في مدريد سنة ١٨٦٧

والفعل « اتقن » مشتق من التِقْن اي من النمت كما يتّخذ في غير هذا الموطن . واذا اتخذ الواحد مادة ليصنع منها مادّة اخرى يستعملها في ما يقوم به معاشهُ ويصلح به تدبير امرهِ سمّي تلك المادة التِقْن بالكسر ايضاً ، وهو ما اصطلح عليه الافرنج بالمادة الاولى matière première . قال في التاج : التِقن بالكسر : ما يقوم به المعاش ويصلح به التدبير كالحديد وغيره من جواهر الارض وكل ما يقوم به صلاح شيء فهو تقنهُ ، ذكرهُ العلامة ابن ثابت في شرح حديث بدء الخلق : وخلق التقن يوم الاربعاء . وذكرهُ ايضاً الحافظ ابو بكر بن العربي رحمهُ الله في ترتيب رحلتهِ . اه (كلدة)